ملف

نضال الحركة الوطنية الايرانية ومنشوء حزب توده

بعد الحرب العالمية الثانية ، اسفلت الشعوب الايرانية لمرحلة جديدة من النضال ، تضمنت مجموعة من النضالات الوطنية والطبقية .
ان من الضروري لكل وطني وثوري ان يستخلص مجموعة من الدروس من النضالات السابقة لشعب ، ذلك من اجل خوض مرحلة جديدة من الكفاح الناضج .

الظروف الدولية الجديدة بعد الحرب العالمية الثانية ، هزيمة الفاشية على الصعيد العالمي ، استقرار اسس النظام الاشتراكي (في الاتحاد السوفييتي انذاك) ، يقظة الشعوب المستعمرة ونضالاتها من اجل نيل حريتها ... كل هذا كان بمثابة نواقيس كبيرة ايقظت الشعوب الايرانية لكي تنبه الى نفسها وتدخل ساحات الكفاح ضد الامبريالية والرجعية .

ان كسر دكتاتورية نظام الشاه والتي دامت عشرين سنة كانت فرصة للطبقات الشعبية لكي تنظم نفسها وتستعد من الضعف المؤقت للقوى الرجعية المهارة وتحصل على حريات نسبية للقيام بنشاطات ثورية .

ان عودة القوة والتماسك للطبقات والقوى المهارة كان بحاجة الى وقت طويل، واستفادت الجماهير الشعبية من هذه الفرصة وشكلت مجموعة من التنظيمات النقابية والسياسية التي توسعت واستمرت لكي تنظم كافة الافراد والطبقات .

ان تشكيل تنظيم بروليتاري يمثل طموحات الطبقة العاملة الايرانية ، كان يلقط اهميته بمرور الوقت اكثر فاكثر ، والملاحون الذين كانوا يعيشون تحت ضغط وسلط الاقطاع والرجعية كان من الضروري تاريخيا توعيتهم ودمجهم الى الدخول في ساحة النضالات السياسية . وكانت كل من البرجوازية الوطنية والبرجوازية الصغيرة المدنية تطالبان بمزيد من الحريات الاقتصادية والسياسية للتحرر من السيطرة الامبريالية .

ولقد كانت الطبقات الرجعية التي تدعم الدكتاتورية وما زالت تخاف من الوضع الجديد ولا تشعر باي استقرار سياسي وتعيش في حالة من التشتت والضياع ، وحتى بعد مجيء محمد رضا شاه ابن الملك السابق فان الطبقات الرجعية لم تجد الاطمئنان في الوضع الجديد .

وفي الوقت الذي كان فيه الاستعمار الانكليزي المجوز يسيطر على شؤون الشعوب الايرانية ويفعل ما يشاء ، بدا الاستعمار الجديد نشاطاته ويقصد به الامبريالية الامريكية ، وسرعان ما كبرت وتوسعت تلك النشاطات من يوم لآخر .

وفي هذه الفترة بدات القوى الوطنية بتشكيل منظماتها المختلفة .
ومن هذه المنظمات حزب تودة الايراني الذي ولد في هذه المرحلة وكان له دور سياسي هام في الساحة السياسية انذاك .

لقد كان قسم كبير من مؤسسي حزب تودة ينتمون الى الطبقات الارستقراطية والبورجوازية الصغيرة ، وهم من بقايا مجموعة الشهيد الدكتور اراني والتي دارت نشاطاتها في فترة الملكية السوداء (رضا شاه بهلوي) وقد اعتقلت تلك المجموعة والمعروفة بالمجموعة ٥٣ .

وواصل حزب تودة نشاطاته التنظيمية لكسب فئات من جماهير الشغيلة والبورجوازية الصغيرة في المدن مع عناصر قليلة من الملاحين ، وفعلا نجح في نشر الوعي النضالي والسياسي على مستوى واسع ، ومن حيث قيادة وتنظيم هذا الحزب لم يكن ذي اسس بروليتارية ، ورغم انه اعلن فيما بعد بانه حزب العمال والفلاحين وتبنيه ايديولوجية علمية ، لكن بالحقيقة لم يكن غير حزب ليبرالي ضد الامبريالية مع افكار مشوشة من حيث اطارها وتطبيقها العملي .

لم يكن بمقدور حزب توده انه دراسة كاملة عن تركيب طبقات المجتمع الايراني . والغاية من تاسيسه فكان على اساس النظرة الوطنية وضد الامبريالية والرجعية . ونتيجة لسياسة وتركيبة حزب تودة تولدت التناقضات في داخله ، ولم يتوجه الحزب لمعالجة هذه التناقضات برسم خطة واضحة لسياسة الحزب

مجيد احمد زاده
عضو اللجنة المركزية اعدم ١٩٧١

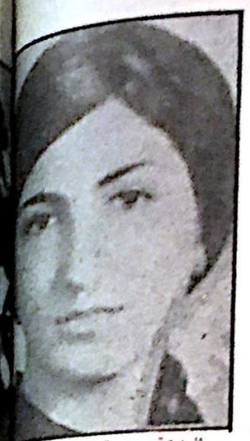
الرفيقة مرصعة احمدي اسكوئي
استشهدت بمعركة ١٩٧٤

وايديولوجيته لا من جناب قادة الحزب ولا حتى من جانب العناصر الواعية والعضو التي كانت تطرح هذه المشاكل والتناقضات .

وكان من المستحيل ان تعبر هذه الطروحات من الاقلية البيروقراطية المسيطرة والتنظيمية المسلطة على الحزب لتجد لها صدى على الصعيد العملي .

وبدلا من ان تقود الحزب نضالات الجماهير فقد كان منخلفا عنها وبلهث وراءها بسبب التركيب الجامد الذي شوه بناء الحزب وخاصة اساليب النضال السلمية والبرلمانية المتبعة من قبله .

وان بعض المكتسبات التي تحققت عن طريق النضال الجماهيري فقدت كذلك بنفس الاساليب .

التجربة الوطنية في عهد مصدق

اما القوى الاخرى التي اخذت تنشا وتنمو في هذه المرحلة فكانت القوى والعناصر الوطنية وقد تجلت في الجبهة الوطنية الايرانية ، والتي تحتوي البورجوازيين الوطنيين والبورجوازيين الصغار الذين كانوا يريدون مزيدا من الحريات السياسية والاقتصادية .

غير ان هذه القوى الاخرى سلكت اساليب النضال البرلمانية والسلمية نفسها .

ولقد كان الدكتور مصدق ممثلا وقائدا لهذه القوى واستطاع ان يشكل قوة للبرلمان عن طريق الانتخابات ومن ثم وصل الى قمة السلطة وشكل الحكومة الوطنية ، وحصل على كل هذا تحت شعار تاميم النفط واخراج الانكليز من ايران .

لقد حصلت في تلك المرحلة تغييرات واسعة في حياة الشعب الايراني وخاصة بالمرحلة ، الفترة الواقعة ما بين سنة ١٩٤١ — ١٩٥٣ ، اذ حصل الشعب على بعض الحريات الديمقراطية ، وانشرت نشاطات الاحزاب الوطنية وقامت تظاهرات جماهيرية من العمال والفلاحين والبورجوازيين الصغار تحت شعار الجبهة الوطنية الايرانية ..

كذلك تاسست النقابات ، ودخلت عناصر وطنية الى البرلمان ومن ثم الى الحكومة الوطنية التي قامت باعطاء حريات اكثر واممت النفط واخرجت المستشارين الانكليز .

وتحدد نشاط الرجعيين التابعين للبلاط وقد كان من شان هذه الاجراءات محاصرة القوى الرجعية الداخلية والاستعمارية ، واجبارها على التقهقر ، ولكن الخطا كان في عدم تصفيتها جذريا اذ بقي النظام الشاهنشاهي ولم يتم

منوچهر ابراهيمي
استشهد بمعركة ١٩٧١

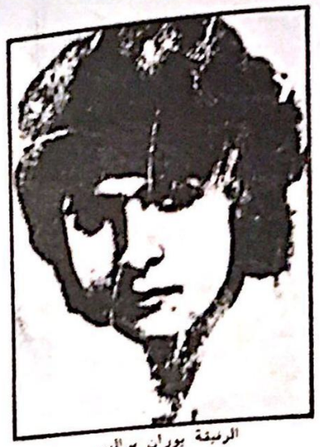
الرفيقة بوران برالبي
انتحرت حين اعتقالها

والانكليز ، ولقد اجاب الانقلاب بالرصاص على هذا الصمود الثابر والبطولي !

ان الاخفاق الذي مست به الحركة الوطنية ادى الى ضعف الثقة بين الجماهير والاحزاب الوطنية انذاك ، وذلك لان الشعب كان يشاهد كيف كانت تلك القادة تعرض المكاسب الشعبية والوطنية بسلوكها البورجوازي والمتردد الى الضياع والسقوط في احضان العدو .

لم تكن تلك القادات حديثة او قادرة على حفاظ تلك المكتسبات وهكذا فان سنوات ٥٣ — ٦٠ كانت سنوات تثبيت النظام القائم وقمع صدور الحركة الشعبية .

فالهزيمة التي لحقت بالحركة الوطنية لم تكن فقط نتيجة لقوة العدو الطبقي والامبريالي وانما كانت تعبيرا عن سقوط وضعف القيادات الوطنية وسياساتها .
وانطلاقا من هذا الواقع فان الحركة الوطنية بدات تتجه اتجاها اخر وبدات تنمو وتتوسع بعد تلك الضربة الكبيرة .

ان طلاب الجامعات بشكل خاص استمروا على حمل وحفظ مشعل الكفاح الجماهيري رغم كافة اجراءات القمع والترهيب ، ولقد قدمت الحركة الوطنية والطلابية اعز واصلب عناصرها واساتها في هذه الفترة السوداء من الحكم القائم على طريق بقاء وخلود الحركة الجماهيرية .

بعد مرور سنوات عدة نشات حركة وطنية واسعة رغم القمع وسعت النساء ومحاولة احياء الحركة الوطنية الجديدة والتي بعد الضربات السابقة دخلت مرة اخرى ساحة النضال كامتداد للنضالات السابقة ولقد كانت تلك الحركة ورثة لشعارات وبرامج الفترة الوطنية التي سبقت انقلاب ١٩٥٣ العسكري الامبريالي اذ طرحت نفس المطالب السابقة مرة اخرى :

الحريات الديمقراطية ، الانتخابات ، حرية التنظيم النقابي والصحفي ، مع فارق اساسي هو ان العدو في هذه الفترة كان اكثر استقرارا وقوة واستعدادا لسحق النساء . وكانت فترة السبع سنوات كافية لكي يحكم العدو قبضته على كافة انحاء ايران ويتعلم دروسا كثيرة في قمع الحركة الشعبية .

ان تطور الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بايران خاصة في سنوات ١٩٦١ — ١٩٦٣ كانت بحاجة لدراسة جديدة وطرح شعارات ملائمة لهذه المرحلة وادراك وفهم المسائل الجديدة .

لكن انطلاقا من واقع القيادات وعقليتها فانها لم تتنبه لظروف النضال الجديدة ولم تطرح اساليب نضال مختلفة ، وبدلا من ان تستمر في خوض النضال الطبقي والوطني فان سلوك وعقلية تلك القيادات ادت الى ارتباك الحركة دون ان تحقق مكاسب هامة .

واستطاع النظام الشاهنشاهي تحقيق بعض المطالب التي كانت تطرحها الحركة الوطنية مما ادى الى عزلتها ، نذكر خاصة قيام النظام ببيع الاراضي الى الفلاحين والقيام ببعض الاصلاحات الاخرى لتثبيت النظام الرجعي .

انتفاضة حزيران ١٩٦٣

ومع كل ذلك فان قمع الحركة الوطنية قد ازداد واشتد اكثر من السنوات السابقة .

ان الحركة الجماهيرية في حزيران ١٩٦٣ قد وضعت نهاية لارتباك الحركة الوطنية ، رغم ان هذه الحركة الجماهيرية الجديدة اتخذت شكلا دينيا الا ان جوهرها كان سياسيا ووطنيا ضد الوجود الامبريالي وضد النظام الرجعي القائم وكانت شعاراتها تتعلق برفض اعادة قانون حماية الاجانب (كابيتولاسيون) والاعتراض على ابعاد بعض رجال الدين الوطنيين والهجوم من قبل المتظاهرين ضد المؤسسات الحكومية والامبريالية .

لقد رد النظام على هذه الحركة ردا وحشيا باطلاق الرصاص على جماهير

وكانت الحكومة الوطنية بتحديد نشاط الشاه في الملاط وتاثيره . اما الطبقات المتاخرة فلم تبت بل استمرت في امتصاص دماء الشعوب الايرانية .

ان القوى الوطنية لم تكن تطرح المسالة الطبقية بشكل حذري لان الجبهة الوطنية لم تكن تحمل مثل هذه النظريات او الافكار المتقدمة ولانها كانت تعبيرا عن طموحات برجوازية .

ان حزب تودة انطلاقا من تكوينه الطبقي والفكري البورجوازي الصغير قد عجز عن فهم طبيعة المرحلة ووضع الامبريالية وبالتالي لم يملك برنامجا بخصوص المستقبل .

الردة الرجعية والانحسار الوطني

لقد ادت الضربات التي الحقتها الحركة الوطنية بالقوى الرجعية الى استنفار القوى الرجعية والاستعمارية والعمل بشكل مكثف مما ادى الى اسقاط الحكومة الوطنية وقمع الحركة الجماهيرية والقيام اخيرا بانقلاب عسكري عام ١٩٥٣ .

ان سحق الدماء كان الوسيلة الوحيدة للانقلاب العسكري الرجعي لضمان استقراره تحت ظروف الارهاب وخنق حركة الجماهير .

ولقد بقيت القادات الوطنية مكتوفة الايدي ازاء الهجوم الرجعي والاستعماري واكتفت بالفرج على سير الامور دون ان تقوم بعمل حاسم .

بعد الانقلاب العسكري الرجعي عام ١٩٥٣ بدات الحركة الوطنية تعيش حالة هزيمة كبيرة وابتدا الهجوم الرجعي من جديد ، وادى هذا الى سيطرة جو من الارهاب على كافة انحاء ايران ، وبدات جملة من نخب الوطنيين ومعذبيهم وقمع كافة النشاطات السياسية الوطنية ، لقد استطاعت بقايا اللجنة المركزية لحزب تودة ان تهرب الى الخارج بينما وقعت عناصر مخلصة وصديقة للحزب تحت بطش القوى الرجعية وجاءت الى السلطة حكومة عسكرية رجعية لتقوم بخدمة الامبريالية وفي نهب خيرات الشعوب الايرانية .

ودور الاستخبارات الامريكية (C.I.A.) في انجاح الانقلاب العسكري الرجعي كان واضحا للجميع .

ولقد استغل العدو الفرصة الناجمة عن الظروف الجديدة لهدم حزب تودة نهائيا ، ولقد صنع المناضلون الحقيقيون ملاحم بطولية امام شراسة الانقلاب الرجعي